

وردة اليازجي

للأستاذ يوسف يعقوب مسكوني

- ١ -

نحن جديرون بأن نعتي بما آثره الشاعرات العربيات من بنات قومتنا في القديم والحديث . فهذه العناية تؤدي بعض ما لمن من الحق علينا في مضمار الشعر واللغة ، وضربهن بهم وافر في إظهار شعورهن نحو لغتهن وبنات أمتهن ، ومنهن الحديثات عن تبين خطط سابقاتهن فتسجن نسيجاً يليق بنا أن نطلع القراء على ما يتيسر إيراد في هذه المجلة فنحفظ لمن ذكرنا باقياً حافظاً لغيرهن من النساء أن يسلكن هذا المسلك الطريف الطريف فيكن أو تاراً موسيقية لأبناء الجيل وبناته . وهذه الشاعرة وردة بنت الشيخ ناصيف اليازجي من شاعرات أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . كان أكثر شعرها رثاء وذلك للنكبات التي حلت بهذه الشاعرة السكنية فانهات عليها كالسهم لأنها نكبت بكل إخوتها وأختها وأبيها وابنها وابنتها وزوجها . فبكتهم بكاء الخساء على إخوتها وأولادها ، وحنّت حذوها في نسق الرثاء وذكرتها مراراً في قصائدها المملوءة من النواح ، وهذا ديوانها « حديقة الورد » طابغاً بالرائي والمآثم والدموع السكوبية على من قعدتهن من أفراد أسرتهن الأعلام ، وغيرهم من الأفاضل الكرام .

أما سيرتها : فقد ولدت في كفر شيحا في لبنان في العشرين من شهر يناير من سنة ١٨٣٨م (١٢٥٣هـ) ثم انتقل والدها إلى بيروت وأدخلها مدرسة البنات للزسليين الأمريكيين . ولما بلغت الثانية عشرة لتقها والدها أصول الصرف والنحو والبيان والمروء فنبت فيها ، ورأها والدها مطبوعة على الشعر فرشحها له فنظمت عدة قصائد وهي لم تناهز الرابعة عشرة . ثم أخذت تكتر من النظم والرثاء والمدح وغيرها ، وقد أجادت في الرثاء كما قلنا لما تمت به أسرتها من المصائب الفاجعة . وقد اقتربت ، بفرنسيس شمعون سنة ١٨٦٦م وصرفت أكبر قسم من حياتها في مصر في مدينة

الإسكندرية ، وتوفيت فيها في الثامن والعشرين من شهر يناير سنة ١٩٢٤م (١٣٤٢هـ) ، وتعرف بأنها أول امرأة نبنت في الأدب العربي في القرن التاسع عشر ، وتظهر كتاباتها مقدرة عظيمة في طريقة التركيب على نمط والدها ، ومحتويات أشعارها قصائد تنطق بظروف ذات علاقة متينة بتاريخ عائلة اليازجي . ولها مع أدبيات عصرها في سوريا ومصر وبفداد مساجلات ومراسلات تم عن لطف وبراعة في التعبير ، ونشرت عدة من المقالات بعضها في مجلة الضياء تناولت فيها قضية المرأة الشرقية وغيرها ، وغلبت على نظمها مسحة الشعر اليازجي في السهولة والرفق ، وقد عمرت ظويلاً . وعن كتب عنها من الغربيين المستشرق بروكلين (Brooklyn 0A111495) ولما الشريون فكتيرون^(١) نخص بالذكر منهم الأب لويس شيخو اليمسوي (ملاحظات شيخو : التاريخ ص ٤١٥ - ١٦ ونص التهرست ص ٢١٣ العدد ٨٢٩) ومحاضرات الآنسة مي (مرم زيادة وقد خصصتها بها وقد طبعت في القاهرة في مطبعة البلاغ المحتوية على اثنتين وستين صفحة مع الرسم) . أما ديوانها « حديقة الورد » فقد طبع مرتين في بيروت سنة ١٨٦٧م ، سنة ١٨٨١م وفي القاهرة للمرة الثالثة سنة ١٩١٣م (١٣٣٢هـ) وزيد على طبعته الأخيرة كثير من القصائد النادرة لها . وأما شعرها فينقسم قسمين : الرثاء والمدح ، ولنبدأ الآن بالمدح . فمن ذلك أن قالت في جواب أبيات وردت عليها من وردة بنت الملم نيقولا الترك الشاعر في مطلع ديوانها :

يا وردة الترك إني وردة العرب فينتنا قد وجدنا أقرب النسب أعطاك واللك الفن التي اشهرت

الطافه بين أهل العلم والأدب
وقالت في جواب رسالة إلى الست كاتبة بنت موسى بسترس
وفي هذا تورية لطيفة لأن اليازجي بالتركية يعنى الكاتب :

(١) معجم للطبوعات ليوسف البيان مركيس ص ١٩٤٩ - ٤٠
مادة يازسي ، قاموس تراجم الأعلام لجير الدين الزركلي ج ٣ ص ١١٣٤
فناة الشرق ، مجلة الآثار المجلد الثاني - بلاغة النساء لفتحية محمد . تاريخ الصحافة ليليب دي طرازي ، مجلة سيدات والرجال السنة الخامسة أعلام النساء في عالمي الشرق والاسلام لسررنا كماله ج ٣ ص ١٦ -
١٦٥ ط دمشق ، الملة الاعلامية المجلد الرابع ص ١٢٣٦ مادة يازسي
المقتطف المجلد الرابع والستون ج ٢ ص ٢٣٩ .

إلى التي صار قلبي اليوم مسكنها كأنها الشمس حلت منزل الحبل
جيلة الخلق تحكي البدر طلعتها جيلة الخلق في قول وفي عمل
وكذلك تقول :

يا من بها زهت الأيام قائلة :

لا تحسبوا أن كل الفضل للرجل
وقالت تمدح ميخائيل المدور :
نخل اليمامة يفدى نخلة ظهرت

في أرض بيروت منها الظل والتمر
ثم قالت وقد زار أباه الأمير أمين أرسلان :

تدقق في منازلنا السرور مساء حيث شرقها الأمير
أضامت بهجة كالصبح لما تجلى فوقها القمر للنير
فكادت ترقص الأكياد تبها بما ناله أو كادت تطير
وكذلك قالت جواباً لصديق أبيها محمد عاقل أفندي الساكن
في الاسكندرية :

زارت بجنح الدجى والليل متكر

فقالت الدار ها قد أشرق السحر
خود تيمس بقدر كالقناة بدا إذا رآه غصون البان تنكر
قد يفد قلوب الماشقين إذا ما هتريوما ترى الأكياد تنفطر
خطت لأهل الهوى سطرأ بوجنتها
إياكم النار لا يؤذيكم الشرر

ثم هي تقول :

أهدى إلى بيوتنا كل قافية منهن تحجل منها الأنجم الزهر
وهي تقول أيضاً :

سحبان مصر وباركن البلاغة من

به السواني فدت ترهو وتمتخر
وقالت تحبب أحد الفضلاء عن أبيات يث بها إليها من بغداد :

من الكريم بها على رسالة تفدى بكل وصيفة ووصيف
وفيها تقول :

أهديتني مدحاً به أغرقتني في بحر فضل لم يكن بمحتف
وكذلك قالت جواباً لأحد الأفاضل عن أبيات أرسلها
لوالدها من بغداد :

بينى وبينك في الأساى نسبة لا في الماني أنت فوق مراتبي
سميت كاتبة بكل لياقة وأنا كما تبين بنت الكاتب
وقالت وقد طادت صديقة لها من سفر :

زار الحبيب فزار أجنافى الكرى ودنا سرور كان عن قلبي سرى
لا تفكروا إن فاب عنى مرة

شم الكواكب أن تنيب فظهرها
ثم تقول :

أهلا بمن أخذ القلوب وديعة وأعادها منه مخوض الأبحر^(١)
وقالت في رسالة إلى صديقة لها وقد كانت في سفر :

منى السلام على التي هجر الحمى فجرت دموعي كالسحاب عندما
الشوق زاد من البعاد تحسراً والنوم صار على الميون محرماً
ثم هي تقول فيها :

يا راحلا أضحى فؤادى عنده وبقيت من وجدى أراعى الأنجما
وكذلك قالت :

منى السلام إلى من سار في السحر وبذل العين بعد النوم بالسهر^(٢)

وقالت وقد بثت بها إلى إحدى صواحبها وقد كانت في سفر :
رحل الحبيب وحن صبرى قد رحل

فستى يعود إلى منزله الأول
وتضيء أرض أظلمت من بعده وقر عيني باللقا قبل الأجل
ثم تقول :

قد قل صبرى للبعاد تحسراً

والجسم من أجل الفراق قد انتحل
يا غائباً والقلب سار بأره شوق مقيم في فؤادى كالجيل
يا بدر غبت اليوم هنا واحلا

والبدر ليس يقبب نهراً إن أفل^(٣)

وقالت في الأميرة تاج الشهابية :

تحية من مشوق زائد القلل تهدي إلى تاج مجد من ذوى الدول
ثم تقول :

(١) ديوان حديفة الورد ص ٣ من الطبعة الأخيرة .

(٢) نفس المصدر ص ٤ .

(٣) كذلك ص ٤ .

ذكرت قومي إلى ما ترتب به لهم صنعا بجيلا وبرهانا لودم
 لهم علينا اليد البيضاء ما بقيت فينا حياة توالى ذكر فضلهم
 يا سادة جمعهم نسبة الوطن الـ محبوب جمع الثريا غير منفصم
 جدتكم شخص من نهفور وريته كأنما هب مبعوثا من الرحم
 فلو تمكن من نطق لصافح لكم شكرا ودبجه بالدر والحكم
 وما مديحي لكم حبر على ورق

بل خط في لوح صدري شكركم بدى (١)

إلى هنا نكتفي من قولها نظما في المديح ، وأما الرثاء فقد
 أبدعت فيه كل الإبداع وأجادت فيه كل الإجابة . فهي التي
 بكت في رثائها وأبكت من سمعها أو قرأها في هذه القصائد
 المحزنة التي تأتي ههنا بالميسور إرادته فقالت ترى البطريق
 مكسيموس مظلوم حين توفى بالاسكندرية سنة ١٨٥٥ :

يا حاسبا دنياك دار قرار أقصر عنك فتلك أخبت دار
 لا تستقر بها النفوس ولا ترى قلبا بلا غم ولا أكدار
 دنيا غرور كلما طال المدى طال الغرور بمكرها القرار
 ثم هي تقول :

لله يومك في الأنام فانه أبى لنا حزنا مدى الأدهار
 وقالت ترى الرحوم مارون نقاش التوفى سنة ١٨٥٥ م :

الموت للناس كالجزار للغم فليس يترك من طفل ولا هرم
 كأس يدور علينا ساقيا أبداً وليس يترك إنسانا من الأمم
 ثم تقول :

ذابت لفرقتيه الأكياد والتهبت

أجفاننا من دموع خرجت بدم

وقالت أيضا ترى الرحوم غالى بميت الأميريكي :

ذابت بجمرة فقدك الأجسام يا فاضلا غدرت به الأيام
 ثم تقول :

قد سرت من وادى الدموع مودعا

هل يرتجى بعد الوداع سلام

يوسف يعقوب مكوني

(يتبع)

خود من العرب وافت تنجلي تيبا

كالشمس تشرق فينا من أعاليها

إلى أن تقول :

اللودعي الذي الزوراء مسكنه وصيته سار في أقصى ضواحيها
 حيا الحيا أربع الزوراء وأهلها وجادها النيث هتانا يواليها
 في أرضها منبع العلم الذي غمرت مياهه وارتوت منه أهلها
 أهدى إلى بيوتنا كل قافية منهن تسكرا لا بالخر قاريها
 ولها في لبنان ذكريات ولومات حيث تقول فيه :

يا ربى لبنان حياك الحيا وسقى تربك هتان الغمام
 يا ربوع الأنس يا دار الصفا يا جنات الخلد يا أهنا مقام
 ثم انظرها تقول :

وخرير الماء في تلك الربي كحنين من عب مستهام
 بسط الزهر على أرجائه بين ورد وبهار وخزام
 وترى الأطيوار في تلك الربي بين شحرور وباز وعمام
 وفي تهنتها للأميرة نازلي هانم بعودتها من أوروبا تقول :
 أهلا بيدات الملى والمجد والحسب سائلة العلوى للماجد النجب
 شمس بدت من سماء الغرب مشرقة

فغار ما في سماء الشرق من شهب

فرع كريم أتى من دوحة سقيت

أعراقها بمياه الفضل لا السحب

وقالت تتذكر أيام الصبا :

يا زمان الصبا عليك السلام يا ربيعاً تزهو به الأيام
 فيك تحلو الحياة يا زهرة الـ حمر وتنمو المقول والأجسام
 لطف نفسي على أوقات أنس قد تقضت كأنها أحلام
 حيث كان الزمان طلق الحيا وعيون الأكدار هنا نيام (١)
 وقالت تمدح شكري الخورى والسوريين في أميركا الذين
 اشتركوا في إقامة تمثال لأخيها إبراهيم .

يا من يقصر عن شكري له قلنى لا أتى من جميل الفضل والكرم
 الفاضل الشهم شكرا لله من لهجت

بشكره السن الأيام والمهم